تفسير النص القرآني بين المفسرين والحداثيين

إعداد الدكتور
الصادق عوض الفاضل عبدالله
جامعة بحري – السودان

تفسير النص القرآني بين المفسرين والحداثيين

الصادق عوض الفاضل عبدالله

قسم مقارنة الأديان ، كلية العلوم الإنسانية ، جامعة بحري ، السودان.

البريد الألكتروني:drsadiq1967@gmail.com

الملخص :

يتلخص البحث في بيان أصول مذهب الحداثيين وكشف طريقتهم في تفسير آيات الكتاب مع ضرب الأمثلة في تعاملهم مع كتاب الله تعالى وبيان طرائق الاستنباط واجتهادهم المجانب لأصول التفسير التي وضعها العلماء، وسيظهر لكل باحث كيفية تعاملهم مع كتاب الله وفق الهوى، وقد جرَّ بعضهم إلى التطاول على القرآن وثوابته التي تفت في عضد الشريعة فينبغي التعامل مع هؤلاء الحداثيين عن طريق الوعي والعلم الشرعي الصحيح وتوقير أهل العلم وفضح أساليبهم وبيان غاياتهم ودحض أفكارهم وبيان عورهم بالطرق والأساليب الملائمة للعصر، وتوصل الباحث لعدة نتائج أهمها أن التيار الحداثي هو امتداد للتيار التجديدي الذي ملأ الساحة ضجيجاً في سبعينيات وثمانينات القرن الماضي، وأن الحداثيون يعتمدون على رفع الحصانة عن القرآن وذلك بالتشكيك في التفسير والمفسرون.

الكلمات المفتاحية: تفسير – النص – القرآني – المفسرين – الحداثيين

Interpretation of the Qur'an Text between the Commentators and Modernists

Al-Sadik Awad Al-Fadel Abd-Alla

Religions Comparison Department, College of Human Sciences, University of Bahri, Sudan

E-mail: drsadiq1967@gmail.com

Abstract

The study is summarized in clarifying the Fundamentals of Al-Hadathiyeen's 'the modernists' School of Thought and exploring their approach in exegesis of the "Ayat Al-Kitab" with setting examples in dealing with Book of Almighty Allah "the Holy Quran" and clarifying the methods reasoning and Igtihad for the fundamentals of exegesis created by the scholars .Each researcher will recognized how to deal the Holy Quran Allah's Book according to the guidance, some of the scholars have audacity to the Holy Quran and its constancies that involved in the basic of Sharia, we should deal with those Hadathiyeen 'the modernists' via method of awareness and the true forensic science and reverence of Ahlu Alelim and scandalizing their styles and clarifying their purposes and refuting their ideas and clarifying their methods and styles conducive to the era, the researcher concluded to a number of findings, the most important of which is that modern trend is the extension to the new trend which fill the

space with noisiness in the seventies and eighties of the last century, and the modernists depend on lifting the immunity of the Holy Quran and casting doubt on exegesis and interpreters.

Key words: Interpretation- Qur'an- Text- Commentators- Modernists

مقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين وبعد

لما كان سبيل الحائدين عن الحق من أصول دعوة القرآن ﴿ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾[1] أحببت أن أسهم بورقة علمية أتناول فيها تفسير النص القرآني بين المفسرين والحداثيين من خلال تتبع أقوالهم في تفسير النص القرآني وبيان مجانبتها للصواب، وكيف أنها تخالف الأصول المتفق عليها بين المفسرين، جاءت الورقة بمقدمة ومباحث وخاتمة متضمنة لأهم النتائج والتوصيات.

أهمية الموضوع:

١- خطورة المنهج الحداثي على الأمة الإسلامية لأنه يهدهم أحياناً في أصول الدين ويشكك في ثوابته.

٢- أن المنهج الحداثي يمثل رأس الرمح في الوقوف في وجه التفسير الصحيح لكتاب الله عز وجل.

أهداف البحث:

يهدف البحث إلى الآتي:

١- التعريف بالحداثيين ومنهجهم في تفسير آيات القرآن الكريم وانحرافهم عن ضوابط أهل العلم في فهم القرآن الكريم.

٢- الزود عن أئمة أهل التفسير من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين.

٣- ثبات أحكام القرآن الكريم وأنها غير قابلة للخروج عن ضوابط أهل التفسير.

(١) سورة الأنعام الآية ٥٥.

مشكلة البحث:

تكمن مشكلة البحث في الآتي:

١- ماهية الحداثيين ونشأتهم وأهدافهم ومناهجهم في تفسير النص القرآني وقطعياته؟

٢- ما موقف الحداثيين من خروج الدابة وعذاب القبر شجرة الزقوم ونعيم الجنة ولعذاب النار وخلق حواء؟

٣- ما موقف الحداثيين من حد الردة والقوامة وحجاب المرأة المسلمة؟

منهج البحث:

المنهج التحليلي النقدي.

خطة البحث:

المبحث الأول: تعريف القرآن والتفسير والحداثة

المطلب الأول: تعريف القرآن لغة واصطلاحاً.

المطلب الثاني: تعريف التفسير لغة واصطلاحاً.

المطلب الثالث: تعريف الحداثة لغة واصطلاحاً.

المبحث الثاني: إمكانية وقوع الوحي وحجية القرآن

المطلب الأول: إمكانية وقوع الوحي.

المطلب الأول: حجية القرآن الكريم.

المبحث الثالث: إنكار الحداثيين لبعض الأمور العقدية من خلال تفسيرهم

المطلب الأول: أنكار الحداثيين لخروج الدابة.

المطلب الثاني: أنكار الحداثيين لعذاب القبر.

المطلب الثالث: شجرة الزقوم.

المطلب الرابع: انكارهم لنعيم الجنة ولعذاب النار.

المطلب الخامس: انكارهم أن الله خلق حواء من ضلع آدم.

المطلب السادس: تفسير قوله إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد.

المبحث الرابع: إنكار الحداثيين لبعض الأحكام الشرعية من خلال تفسيرهم

المطلب الأول: حد الردة.

المطلب الثاني: القوامة.

المطلب الثالث: حجاب المرأة المسلمة.

المطلب الرابع: تفسير قوله تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴾.

الخاتمة.

النتائج والتوصيات.

المبحث الأول

تعريف القرآن والتفسير والحداثة

المطلب الأول

تعريف القرآن لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف القرآن في اللغة:

القرآن: مصدر للفعل قرأ مرادف للقراءة، بمعنى تلا، وفيه معنى الجمع والضم، قال ابن فارس: "القاف والراء والحرف المعتل أصل صحيح يدل على جمع واجتماع، ومنه القرآن كأنه سمي بذلك لجمعه ما فيه من الأحكام والقصص وغير ذلك"(١).

"والقرآن أصله من (القرء) بمعنى: الجمع والضم، يقال: قرأت الماء في الحوض، بمعنى: جمعته فيه، يقال: ما قرأت الناقة جنيناً، أي لم تضم رحمها على ولد، وسمى القرآن قرآناً؛ لأنه يجمع الآيات والسور، ويضم بعضها إلى بعض"(٢). "وقيل: القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة، وقد ورد بهذا المعنى في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾(٣)(٤).

ولعل الراجح أن القرآن مأخوذ من (قرأ) بمعنى: تلا، وهو مصدر مرادف للقراءة يدل على ذلك الآية السابقة﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ * فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾(٥)

---

(١) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م، ٧٨/٥-٧٩.

(٢) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٨/١.

(٣) سور ة القيامة الآيات ١٧-١٨.

(٤) لسان العرب، مرجع سابق، ٢٩/١.

(٥) سورة القيامة الآية ١٧-١٨.

أي قراءته – وقوله: ﴿ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴾[1]، أي: قراءة الفجر.

ثانياً: تعريف القرآن في الاصطلاح:

ذكر الإمام السيوطي في الإتقان: "أن القرآن كلام الله المنزل، ثم أخذ في تفصيل معنى الكلام وكيفية التنزيل، وعقد بعد ذلك فصلاً في تواتر نقل القرآن وذكر أن الأمة متعبدة بفهم معانيه، وإقامة حدوده، وحروفه على الصفة المتلقاة، ثم ذكر أن القرآن معجز، وأخذ في تفصيل القدر المعجز منه"[2].

وقال الشوكاني: "القرآن كلام الله تعالى، المنزل على نبينا محمد ﷺ، المكتوب في المصاحف، المنقول إلينا نقلاً متواتراً، المتعبد بتلاوته، المتحدى بأقصر سورة منه"[3]. وقيل القرآن: "هو الكلام المعجز، المنزل على النبي ﷺ المكتوب في المصاحف المنقول بالتواتر المتعبد بتلاوته"[4].

وقيل القرآن: "هو كلام الله المعجز المنزل على خاتم الأنبياء، والمرسلين محمد ﷺ بواسطة أمين الوحي جبريل عليه السلام، المنقول إلينا بالتواتر، المتعبد بتلاوته، المبدوء بسورة الفاتحة، والمختتم بسورة الناس، والمتحدى بأقصر سورة منه"[5].

---

(١) سورة الإسراء الآية ٧٨.

(٢) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ-١٩٧٤م، ١٥٨/١.

(٣) إرشاد الفحول، محمد بن على الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م، ٨٦/١.

(٤) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، ١٥/١.

(٥) نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م، ص١٣.

وعرف كذلك بأنه: "كلام الله تعالى المنزل على محمد ﷺ للبيان، والإعجاز، المجموع بين دفتي المصحف، المتعبد بتلاوته، المنقول بالتواتر"[1].

(١) اللآليء الحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، (بدون)، ص٩.

المطلب الثاني

تعريف التفسير لغة واصطلاحاً

أولاً: التفسير في اللغة:

تدور معاني التفسير حول الكشف، والإيضاح، والبيان للشيء.

قال ابن فارس: "(فسر) الفاء، والسين، والراء كلمة واحدة تدل على بيان شيء وإيضاحه"(١).

وقال ابن منظور: "(فسر) الفسر: البيان، فسر الشيء يفسره بالكسر وتفسره بالضم فسراً وفسره: أبانه، وقوله عز وجل: ﴿وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾(٢)، الفسر: كشف المغطى والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكل، واستفسرته كذا، أي سألته أن يفسره لي"(٣).

ثانياً: التفسير في الاصطلاح:

قال الإمام الزركشي: "التفسير: هو علم يعرف به فهم كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ، وبيان معانيه، واستخراج أحكامه، وحكمه، واستمداد ذلك من علم اللغة، والنحو، والتصريف، وعلم البيان، وأصول الفقه، والقراءات، ويحتاج لمعرفة أسباب النزول، والناسخ والمنسوخ"(٤).

---

(١) معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، مرجع سابق، ٤٠٢/٤.
(٢) سورة الفرقان الآية ٣٢.
(٣) لسان العرب، مرجع سابق، ١٢٨/١١.
(٤) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار إحياء الكتب العربية ط/ الأولى ١٣٧٦هـ، ١٣/١.

وقال الجرجاني: التفسير: توضيح معنى الآية، وشأنها، وقصتها، والسبب الذي نزلت فيه، بلفظ يدل عليه دلالةً ظاهرة[1].

فيمكن القول أن التفسير هو علم يفهم به مراد الله في كتابه المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم من بيان لمعانيه، واستخراج للحكم والأحكام عبر علوم وضوابط حددها العلماء.

(١) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م، ٦٣/١.

المطلب الثالث

تعريف الحداثة لغة واصطلاحاً

أولاً: تعريف الحداثة لغة:

الحداثة مصدر الفعل حدث، حدث: الحديث: نقيض القديم. والحدوث: نقيض القدمة. حدث الشيء يحدث حدوثا وحداثة، وأحدثه هو، فهو محدث وحديث، وكذلك استحدثه. وأخذني من ذلك ما قدم وحدث؛ ولا يقال حدث، بالضم، إلا مع قدم، كأنه إتباع، ومثله كثير[١].

والحدث هو الشباب أو الأمر المنكر الذي ليس معتاداً ولا معروفاً، العالم محدث أي له صانع وليس بأزلي، فالحداثة هي الجدة، وأول الأمر وابتداؤه[٢].

ثانياً: تعريف الحداثة اصطلاحاً:

الحداثة مذهب فكري أدبي علماني، بني على أفكار وعقائد غربية خالصة مثل الماركسية والوجودية والفرويدية والداروينية، وأفاد من المذاهب الفلسفية والأدبية التي سبقته مثل السريالية والرمزية وغيرها[٣].

الحداثة اتجاه جديد يشكل ثورة كاملة على كل ما كان وما هو كائن في المجتمع"[٤]، وهذا يدل على خطورة الحداثة على قطعيات الدين.

---

(١) لسان العرب، مرجع سابق، ١٣١/٢.

(٢) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، ٤١٠/٤.

(٣) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ، ٨٦٧/٢.

(٤) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م، ٢٧/١.

المبحث الثاني

إمكانية وقوع الوحي وحجية القرآن

المطلب الأول

إمكانية وقوع الوحي

وقد شاهد الوحي معاصروه، ونقل بالتواتر المستوفي لشروطه بما يفيد العلم القطعي إلى الأجيال اللاحقة، ولمست الإنسانية أثره في حضارة أمته، وقوة أتباعه، وعزتهم ما استمسكوا به وانهيار كيانهم وخذلانهم ما فرطوا في جنبه، مما لا يدع مجالاً للشك في إمكان الوحي وثبوته، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم أول رسول أوحي إليه بل سبقه إلى ذلك رسل قال تعالى: ﴿ إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ ﴾[1] فليس هناك في نزول القرآن والوحي على النبي صلى الله عليه وسلم ما يدعو إلى التعجب، لذلك أنكر الله على العقلاء في قوله: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ ﴾[2][3].

وإذا ثبتت إمكانية وقوع الوحي، فإن الأدلة على وقوعه وتحققه كثيرة:

قوله تعالى: ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمۡ وَمَا غَوَىٰ * وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ * إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ﴾[4].

---

(١) سورة النساء الآية ١٦٣.
(٢) سورة يونس الآية ٢.
(٣) الحداثة في الأدب المعاصر، هل انفض سامرها، د. محمد مصطفى هدارة، مجلة الحرس الوطني ربيع الآخر ١٤١٠هـ.
(٤)سورة النجم الآيتين ٣، ٤.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ يقول تعالى ذكره: وما ينطق محمد بهذا القرآن عن هواه ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ يقول: ما هذا القرآن إلا وحي من الله يوحيه إليه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل(١).

قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ قال قتادة: وما ينطق بالقرآن عن هواه وقيل: عن الهوى أي بالهوى؛ قاله أبو عبيدة؛ كقوله تعالى: فاسأل به خبيراً أي فاسأل عنه، النحاس: قول قتادة أولى، وتكون "عن" على بابها، أي ما يخرج نطقه عن رأيه، إنما هو بوحي من الله عز وجل؛ لأن بعده: إن هو إلا وحي يوحى(٢).

وحديث عائشة رضي الله عنها "أول ما بدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصالحة – وفي رواية – الصادقة في المنام(٣)، وحديث عائشة رضي الله عنها –أيضاً– أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس"(٤).

٣– الأدلة العقلية:

ومن الأدلة العقلية على إمكانية وقوع الوحي، أن النبوة والرسالة ثابتة بأدلة كثيرة وبراهين عديدة، وثبوت ذلك يقتضي ثبوت الصدق والعصمة للنبي، وقد أخبر الصادق المعصوم بأنه يوحى إليه فيلزم من ذلك ثبوت وقوع الوحي، فكل ما أخبر به الصادق المعصوم فهو حق وثابت، فلا يبقى بعد ذلك شبهة ولا نحوها في

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٤٩٨/٢٢.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٨٥/١٧.
(٣) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ٧/١.
(٤) الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م، ٢٨٣/٢.

إمكانية وقوع الوحي وتكرر وقوعه، قوله تعالى: ﴿ قُلْنَا ٱهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعًاۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾[1].

المطلب الثاني: حجية القرآن الكريم:

يقول تعالى في كتابه عن حجية القرآن الكريم ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[2] وفي الصحيحين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «ما من نبي إلا وقد أوتي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة»[3]. وإنما ذكر هاهنا أعظم الآيات التي أعطيها عليه السلام، وهو القرآن، وإلا فله من المعجزات ما لا يحد ولا يحصر، كما هو مودع في كتبه ومقرر في مواضعه[4].

وقوله تعالى: ﴿ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ﴾[5]. ألقى إلي بمجيء جبريل عليه السلام به إلي من عند الله عز وجل، وأما "الوحي"، فهو الواقع من الموحي إلى الموحى إليه، ولذلك سمت العرب الخط والكتاب"وحيا"، لأنه واقع فيما كتب ثابت فيه[6].

كما قال كعب بن زهير:

أتى العجم والآفاق منه قصائد *** بقين بقاء الوحي في الحجر الأصم[7]

---

(١) سورة البقرة الآية ٣٨.
(٢) سورة العنكبوت الآية ٥١.
(٣) صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم ٤٩٨١، ١٨٢/٦.
(٤) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ٢٨٩/٥.
(٥) سورة الأنعام الآية ١٩.
(٦) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م، ٤٠٦/٦.
(٧) ديوان كعب بن زهير، ص٦٤.

وقوله تعالى: ﴿ الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ﴾[1]، ويتجلى ذلك في وضوح ألفاظه، ﴿ وَلَقَدۡ يَسَّرۡنَا ٱلۡقُرۡءَانَ لِلذِّكۡرِ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ﴾[2]. يقول تعالى ذكره: (إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ) وهو القرآن (وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ) قال: وإنا للقرآن لحافظون من أن يزاد فيه باطل ما ليس منه، أو ينقص منه ما هو منه من أحكامه وحدوده وفرائضه، والهاء في قوله: (له) من ذكر الذكر[3]، فحفظه الله تعالى من التبديل والتحريف، قال: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾[4]، وصفه الله تعالى بالنور، حيث قال: ﴿ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴾[5]، وفي الحديث قال قال العرباض بن سارية: قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، فوعظنا موعظة بليغة، وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقيل يا رسول الله: وعظتنا موعظة مودع، فاعهد إلينا بعهد، فقال: «عليكم بتقوى الله، والسمع والطاعة، وإن عبدا حبشيا، وسترون من بعدي اختلافا شديدا، فعليكم بسنتي، وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم والأمور المحدثات، فإن كل بدعة ضلالة»[6]. وفي الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: (والقرآن حجة لك أو عليك، كل الناس يغدو فبايع نفسه فمعتقها أو موبقها)[7].

---

(١) سورة إبراهيم الآية ١.
(٢) سورة القمر الآية ١٧.
(٣) جامع البيان في تأويل القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٦٨/١٧.
(٤) سورة الحجر الآية ٩.
(٥) سورة المائدة الآية ١٥.
(٦) سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي، حديث رقم ٤٢، ١٥/١.
(٧) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، حديث رقم ٢٢٣، ٢٠٣/١.

المبحث الثالث

إنكار الحداثيين لبعض الأمور العقدية من خلال تفسيرهم

المطلب الأول

أنكار الحداثيين لخروج الدابة

قد أنكر الحداثيين الكثير من أمور العقيدة ومن ذلك إنكارهم لخروج الدابة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[1] حيث يقول الدكتور/ محمد عابد الجابري[2] ذهب المفسرون في شرح هذه الآية مذهباً لا يتسق مع أسلوب القرآن الكريم في الدعوة للاقناع، والذي جرهم إلى ذلك ما انتقل إليهم من الموروث القديم وأساطير الأولين حول ما نسج حول الدابة يقال أنها هي التي يبتدئ بها قيام الساعة ومثل هذا التفكير لا يتسق مع منهج القرآن ونحن نرى أن الرجوع إلى السياق يغني عن جميع تلك الخزعبلات فلقد وصف قريش بالصم والعمى: ﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴾[3] فهم كالدواب ففي هذا الإطار يجب فهم الآية ﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[4]، والمعنى هم لا يسمعون كلام العقل فهم دواب من أجل قررنا أنه يوم تقوم القيامة وينادون للحساب نبعث بدابة تكلمهم وتخبرهم أن الناس الناجين يوم القيامة كانوا يوقنون بآيات الله[5]. وقد دلت نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة وأقوال المفسرين على ثبوت خروج الدابة خلافاً ما عليه الحداثيين.

---

(١) سورة النمل الآية ٨٢.
(٢) محمد عابد الجابري مفكر وفيلسوف عربي من المغرب، له ثلاثين مؤلفاً في قضايا الفكر المعاصر، أبرزها نقد العقل العربي، وإشكاليات الفكر العربي المعاصر، www.wikipedia.com
(٣) سورة النمل الآية ٨٠.
(٤) سورة النمل الآية ٨٢.
(٥) فهم القرآن الحكيم، التفسير الواضح حسب أسباب النزول، ، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، القسم الأول، ١٧٤/٣، ٢٦٧/٣.

وخروج الدابة حين ينقطع الخير، ولا يؤمر بمعروف، ولا ينهى عن منكر، ولا يبقى منيب ولا نائب، وفي الحديث: «أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول الأشراط»[1].

عن أبي هريرة، رضي الله عنه، يقول: إن الدابة فيها من كل لون، ما بين قرنيها فرسخ للراكب. وقال ابن عباس: هي مثل الحربة الضخمة. وعن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه، أنه قال: إنها دابة لها ريش وزغب وحافر، وما لها ذنب، ولها لحية، وإنها لتخرج حضر الفرس الجواد ثلاثا، وما خرج ثلثها. وقال ابن جريج، عن ابن الزبير أنه وصف الدابة فقال: رأسها رأس ثور، وعينها عين خنزير، وأذنها أذن فيل، وقرنها قرن أيل، وعنقها عنق نعامة، وصدرها صدر أسد، ولونها لون نمر، وخاصرتها خاصرة هر، وذنبها ذنب كبش، وقوائمها قوائم بعير، بين كل مفصلين اثنا عشر ذراعا، تخرج معها عصا موسى، وخاتم سليمان، فلا يبقى مؤمن إلا نكتت في وجهه بعصا موسى نكتة بيضاء، فتفشو تلك النكتة حتى يبيض لها وجهه، ولا يبقى كافر إلا نكتت في وجهه نكتة سوداء بخاتم سليمان، فتفشو تلك النكتة حتى يسود لها وجهه، حتى إن الناس يتبايعون في الأسواق: بكم ذا يا مؤمن، بكم ذا يا كافر؟ وحتى إن أهل البيت يجلسون على مائدتهم، فيعرفون مؤمنهم من كافرهم، ثم تقول لهم الدابة: يا فلان، أبشر، أنت من أهل الجنة، ويا فلان، أنت من أهل النار. فذلك قول الله تعالى:﴿ وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴾[2][3].

(١) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ ٢٦٨/٨.

(٢) سورة النمل الآية ٨٢.

(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢١٤/٦.

﴿ وَقَعَ ﴾ عبارة عن الثبوت واللزوم وفي الحديث أن الدابة وطلوع الشمس من المغرب من أول الأشراط وإن لم تعين الأولى وكذلك الدجال[1].

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٧٠/٤.

المطلب الثاني

إنكار الحداثيين لعذاب القبر

يقول الجابري في كتابه فهم القرآن الكريم في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[1] وبعض المفسرين يتخذون من هذه الآية دليلاً على عذاب القبر، قال إن القرآن فقط أشار إلى ما يرى بعد قيام الساعة من بعث وثواب وعقاب، فإنهم يحالون دعم فكرة عذاب القبر[2]. وهذا أيضاً من الشبه لتي أوردها الحداثيون وقد أجمع أهل العلم سلفاً وخلفاً على إثبات عذاب القبر، وباستعرضنا أقوال المفسرين نجدهم متفقين على ثبوت عذاب القبر، وفي ذلك يقول القحطاني المالكي الأندلسي في نونيته:

والقبر صح نعيمه وعذابه * وكلاهما للناس مدخران[3]

ففي تفسير قوله تعالى: ﴿ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[4].

وقال الشوكاني في تفسيره في تفسير قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتٌۢ بَلْ أَحْيَآءٌ وَلَٰكِن لَّا تَشْعُرُونَ ﴾[5] بل هم أحياء في البرزخ. وفي الآية دليل على ثبوت عذاب القبر، ولا اعتداد بخلاف من خالف في ذلك، فقد تواترت به الأحاديث الصحيحة ودلت عليه الآيات القرآنية[6].

---

(١) سورة البقرة الآية ١٥٤.
(٢) فهم القرآن الحكيم، الجابري، مرجع سابق، ١٧٤/٣.
(٣) القصيدة النونية للقحطاني، أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي (المتوفى: ٣٧٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع، دار الذكرى، الطبعة الأولى، ٢٣/١.
(٤) سورة غافر الآية ٤٦.
(٥) سورة البقرة الآية ١٥٤.
(٦) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٨٤/١.

فإن أرواحهم تعرض على النار صباحا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴾[1] أي: أشده ألما وأعظمه نكالا. وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ﴾[2][3].

وفسر الطبري قوله تعالى:﴿ وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُواْ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴾[4]. وقوله: (سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ)، يقول: سنعذب هؤلاء المنافقين مرتين، مرتين، إحداهما في الدنيا، والأخرى في القبر[5].

وقد دلت نصوص السنة النبوية على إثبات عذاب القبر، ففي الحديث أنه عن ابن عباس قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بقبرين، فقال: «إنهما ليعذبان، وما يعذبان في كبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة» ثم أخذ جريدة رطبة، فشقها نصفين، فغرز في كل قبر واحدة، قالوا: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا» وقال محمد بن المثنى، وحدثنا وكيع، قال: حدثنا الأعمش، قال: سمعت مجاهدا مثله: «يستتر من بوله»[6]، وقوله صلى الله عليه وسلم في الرجل الذي غل من الغنائم: «كلا، والذي والذي نفسي بيده، إن الشملة الذي أخذ يوم حنين من المغانم لم تصبها المقاسم، لتشتعل عليه نارا»[7].

---

(١) سورة غافر الآية ٤٦.
(٢) سورة غافر الآية ٤٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٤٦/٧.
(٤) سورة التوبة الآية ١٠١.
(٥) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٤٤١/١٤.
(٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم ٢١٨، ٥٣/١.
(٧) الموطأ، مالك بن أنس، مرجع سابق، حديث رقم ١٦٦٩، ٦٥٣/٣.

وعن عائشة، أن يهودية كانت تخدمها، فلا تصنع عائشة إليها شيئا من المعروف، إلا قالت لها اليهودية: وقاك الله عذاب القبر، قالت: فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي، فقلت: يا رسول الله، هل للقبر عذاب قبل يوم القيامة؟ قال: «لا، وعم ذاك؟» قالت: هذه اليهودية لا نصنع إليها من المعروف شيئا، إلا قالت: وقاك الله عذاب القبر، قال: «كذبت يهود، وهم على الله عز وجل أكذب، لا عذاب دون يوم القيامة»، قالت: ثم مكث بعد ذاك ما شاء الله أن يمكث، فخرج ذات يوم نصف النهار مشتملا بثوبه، محمرة عيناه، وهو ينادي بأعلى صوته: «أيها الناس، أظلتكم الفتن كقطع الليل المظلم، أيها الناس، لو تعلمون ما أعلم بكيتم كثيرا وضحكتم قليلا، أيها الناس، استعيذوا بالله من عذاب القبر، فإن عذاب القبر حق»[1].

وأيضاً في الحديث عن زيد بن ثابت، قال: بينما النبي صلى الله عليه وسلم في حائط لبني النجار، على بغلة له ونحن معه، إذ حادت به فكادت تلقيه، وإذا أقبر ستة أو خمسة أو أربعة – قال: كذا كان يقول الجريري – فقال: «من يعرف أصحاب هذه الأقبر؟» فقال رجل: أنا، قال: فمتى مات هؤلاء؟ " قال: ماتوا في الإشراك، فقال: «إن هذه الأمة تبتلى في قبورها، فلولا أن لا تدافنوا، لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه» ثم أقبل علينا بوجهه، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب النار» قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: «تعوذوا بالله من عذاب القبر» قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: «تعوذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها وما بطن» قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: «تعوذوا بالله من فتنة الدجال» قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال[2].

(١)مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م، ٦٦/٤١.

(٢) صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم ٢٨٦٧، ٢١٩٩/٤.

المطلب الثالث

شجرة الزقوم

ومن تفسيرهم للقرآن وانحرافهم كذلك تفسيرهم لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ *طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾[١].

قال الجابري: قالوا كيف ينمو الشجر في النار، والنار تأكل الشجر وقد أورد المفسرون أقوال كثيرة، وهي في نظرنا مجرد تخمينات[٢].

وقد أورد ابن كثير في تفسيره أن أبا الدرداء كان يقرئ رجلاً: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ *طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴾[٣] فقال: طعام اليتيم، فقال أبو الدرداء رضي الله عنه: إن شجرة الزقوم طعام الفاجر، أي ليس له طعام من غيرها أخرجه ابن جرير، قال مجاهد: ولو وقعت قطرة منها في الأرض لأفسدت على أهل الأرض معايشهم[٤].

وجاء في تفسير الجلالين ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ هي من أخبث الشجر المر بتهامة ينبتها الله تعالى في الجحيم[٥]. وفي تفسير الطبري: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ التي أخبر أنها تنبت في أصل الجحيم، التي جعلها طعاماً لأهل الجحيم، ثمرها في الجحيم طعام الآثم في الدنيا بربه، والأثيم: ذو الإثم، والإثم من أثم يأثم فهو أثيم[٦].

---

(١) سورة الدخان الآية ٤٤.
(٢) فهم القرآن الحكيم، محمد عابد الجابري، مرجع سابق، ١٧٤/٣، ٢٦٧/٣.
(٣) سورة الدخان الآية ٤٤.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢٦٠/٧.
(٥) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى، ٥٩١/١
(٦) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٤٣/٢٢.

وفي تفسير القرطبي قوله تعالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴾ شجرة الزقوم: الشجرة التي خلقها الله في جهنم وسماها الشجرة الملعونة، فإذا جاع أهل النار التجئوا إليها فأكلوا منها، فغليت في بطونهم كما يغلي الماء الحار(١).

وقال تعالى: ﴿ وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِيٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ ۚ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا ﴾(٢) فإن أهل التأويل اختلفوا فيها، فقال بعضهم: هي شجرة الزقوم(٣)، وقال البغوي: والشجرة الملعونة في القرآن، يعني شجرة الزقوم، مجازه والشجرة الملعونة المذكورة في القرآن(٤).

المطلب الرابع: انكارهم لنعيم الجنة ولعذاب النار:

يقول الجابري ونعوت الجنة والنار من قبيل ضرب المثل من أجل الترغيب لأهل الجنة والتخويف والترهيب لأهل النار وعلى هذا فليس في الجنة والأنهار والأشجار بل هي رمز للتمتع والسعادة كما أن النار رمز للعذاب والشقاء(٥).

وردت أدلة كثير من الكتاب والسنة المطهرة على نعيم الجنة، وأن أهل الجنة يتنعمون، وأن أهل النار يعذبون، حيث قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ * فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴾(٦). وأخبر الله تعالى أن متاع الدنيا قليل مقارنة مع نعيم الآخرة حيث قال: ﴿ قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ ﴾(٧).

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٤٩/١٦.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ١٤٩/١٦.
(٣) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٤٨٤/١٧.
(٤)معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية - سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م، ١٤١/٣.
(٥) فهم القرآن الحكيم، محمد عابد الجابري، ١٧٤/٣، ٢٦٧/٣.
(٦) سورة الإسراء الآية ٦٠.
(٧)سورة النساء: ٧٧

وقد صور لنا الرسول – صلى الله عليه وسلم – قلة متاع الدنيا بالنسبة إلى نعيم الآخرة بمثال ضربه فقال: "والله ما الدنيا في الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم إصبعه هذه – وأشار بالسبابة – في اليم، فلينظر بم ترجع"(١).

ووصف ثياب أهل الجنة وطعامهم وشرابهم وحليهم وقصورهم أفضل مما في الدنيا، بل لا وجه للمقارنة، فإن موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها، ففي صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها"(٢).

وفي الحديث الآخر الذي يرويه البخاري ومسلم أيضاً عن أبي هريرة قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "ولقاب قوس أحدكم من الجنة خير مما طلعت عليه الشمس"(٣).

وقارن نساء أهل الجنة بنساء الدنيا لتعلم فضل ما في الجنة على ما في الدنيا، ففي صحيح البخاري عن أنس، قال: قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم: "لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت على الأرض لأضاءت ما بينهما، ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها"(٤).

وقال جل وعلا في وصف طعام وشراب أهل الجنة: ﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ

(١)صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم ٢٨٥٨، ٢١٩٣/٤.
(٢) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م، حديث رقم ٥٦١٣، ٨٥/٣.
(٣) المرجع السابق، حديث رقم ٥٦١٥، ٨٥/٣.
(٤) المرجع السابق، حديث رقم ٥٦١٤، ٨٥/٣.

وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴾[1].

قوله تعالى: (فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ) يقول تعالى ذكره في هذه الجنة التي: ذكرها أنهار من ماء غير متغير الريح، وقوله (وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ) يقول تعالى ذكره: وفيها أنهار من لبن لم يتغير طعمه لأنه لم يحلب من حيوان فيتغير طعمه بالخروج من الضروع، ولكنه خلقه الله ابتداء في الأنهار، فهو بهيئته لم يتغير عما خلقه عليه، وقوله (وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ) يقول: وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين يلتذون بشربها[2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾[3] قال ابن كثير: فقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾ كقوله عز وجل ﴿ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴾[4]، وكقوله تعالى ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾[5] أي غير مقطوع[6]، وقال السيوطي في (إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ) أي انقطاع والجملة حال من رزقنا أو خبر ثان لإن، أي دائما أو دائم[7].

وقوله (إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ) يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي أعطينا هؤلاء المتقين في جنات عدن من الفاكهة الكثيرة والشراب، والقاصرات الطرف، ومكناهم فيها من الوصول إلى اللذات وما اشتهته فيها أنفسهم لرزقنا، رزقناهم فيها

(١) سورة محمد الآية ١٥.
(٢) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ١٦٧/٢٢.
(٣) سورة ص: ٥٤
(٤) سورة هود الآية ١٠٨.
(٥) سورة فصلت الآية ٨.
(٦) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق ٣٥٢/٤.
(٧) تفسير الجلالين، مرجع سابق، ٦٠٣/١.

كرامة منا لهم (مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ) يقول: ليس له عنهم انقطاع ولا له فناء، وذلك أنهم كلما أخذوا ثمرة من ثمار شجرة من أشجارها، فأكلوها، عادت مكانها أخرى مثلها، فذلك لهم دائم أبداً، لا ينقطع انقطاع ما كان أهل الدنيا أوتوه في الدنيا، فانقطع بالفناء، ونفد بالإنفاد. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل[١].

وقد وردت أدلة كثيرة من الكتاب والسنة المطهرة على عذاب أهل النار، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾[٢] كما قال تعالى: ﴿ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴾[٣]، وثبت في صحيح مسلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (أما أهل النار الذين هم أهلها فلا يموتون فيها ولا يحيون)، وقال عز وجل: ﴿ وَنَادَوْاْ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴾[٤] فهم في حالهم يرون موتهم راحة لهم، ولكن لا سبيل إلى ذلك.

وقال الله تعالى: ﴿ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾[٥]، عَذَابِهَا ﴾[٥]، كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ * لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴾[٦]، وقال جل وعلا ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾[٧].

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق ٣٨٤/١.
(٢) سورة فاطر الآية ٣٦.
(٣) سورة طه الآية ٧٤.
(٤) سورة الزخرف الآية ٧٧.
(٥) سورة فاطر الآية ٣٦.
(٦) سورة الزخرف الآية ٧٤-٧٥.
(٧) سورة الإسراء الآية ٩٧.

وقوله تعالى: ﴿ فَذُوقُواْ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴾[1]، ثم قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ ﴾[2] أي هذا الجزاء كل من كفر بربه وكذب بالحق[3].

وأهون أهل النار عذاباً: ((من له نعلان وشراكان من نار يغلي منهما دماغه؛ كما يغلي المرجل، ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً، وإنه لأهونهم عذاباً))[4].

(١) سورة النبأ الآية ٣٠.
(٢) سورة فاطر الآية ٣٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٥٥٢/٦.
(٤) صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم ٦٥٦٢، ١١٥/٨.

المطلب الخامس

إنكارهم أن الله خلق حواء من ضلع آدم

يقول الجابري في قوله تعالى: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾[١] اعتمد معظم المفسرين على الإسرائيليات في تفسير الآية فقالوا إن الله خلق حواء من ضلع آدم وهذا مذكور في التوراة وليس في القرآن ما يدل على أن الله خلق حواء من ضلع آدم وما يفهم من الآيات أن الله خلق آدم من طين[٢].

يقول تعالى آمرا خلقه بتقواه، وهي عبادته وحده لا شريك له، ومنبها لهم على قدرته التي خلقهم بها من نفس واحدة، وهي آدم، عليه السلام (وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا) وهي حواء، عليها السلام، خلقت من ضلعه الأيسر من خلفه وهو نائم، فاستيقظ فرآها فأعجبته، فأنس إليها وأنست إليه. وفي الحديث الصحيح: "إن المرأة خلقت من ضلع، وإن أعوج شيء في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن استمتعت بها استمتعت بها وفيها عوج"[٣].

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ ومنها يعني آدم. قال مجاهد: خلقت حواء من قصيرى آدم. وفي الحديث: خلقت المرأة من ضلع عوجاء[٤]. وقوله صلى الله عليه وسلم أيضاً: (استوصوا بالنساء خيراً)[٥] قال النووي: وفيه دليل لما يقوله الفقهاء أو بعضهم أن حواء خلقت من ضلع آدم قال الله تعالى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبين النبي صلى الله عليه وسلم أنها خلقت من ضلع[٦]، ويقول ابن حجر فيه إشارة إلى أن حواء خلقت من ضلع آدم الأيسر[٧].

---

(١) سورة الرعد الآية ٣٥
(٢) فهم القرآن الحكيم، الجابري، مرجع سابق، ٢٤٠/١.
(٣) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ١٨٢/٢.
(٤) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢/٥.
(٥) صحيح مسلم، مرجع سابق، حديث رقم ١٤٦٨، ١٠٩١/٢.
(٦) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ٥٧/١٠.
(٧)فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ، كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ٣٦٨/٦.

المطلب السادس

تفسير قوله إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد

يقول الجابري: في قوله: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[1] فسر المعاد بيوم القيامة والجزاء بمعنى أن النبي صلى الله عليه وسلم سيجازى يوم القيام كالبشر واقع تحت طائلة الوعد والوعيد، لقوله تعالى: ﴿ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرًا لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ ۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴾[4].

أما زعمهم أنه صلى الله عليه وسلم تجرى عليه أحكام الوعد والوعيد، ويجازى كما يجازى البشر، فهذا يكذبه القرآن الكريم وهدي النبي صلى الله عليه وسلم، لذلك قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾[5] قال أهل التفسير أن المراد بالمعاد هو رجوعه إلى مكة فاتحاً لها.

قال القرطبي: قوله تعالى: إن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ختم السورة ببشارة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم برده إلى مكة قاهرا لأعدائه . وقيل: هو بشارة له بالجنة والأول أكثر وهو قول جابر بن عبد الله وابن عباس ومجاهد وغيرهم[6].

(١) سورة القصص الآية ٨٥.
(٢) سورة القصص الآية ٨٦.
(٣) سورة القصص الآية ٨٧.
(٤) سورة الإسراء الآية ٧٤.
(٥) سورة القصص الآية ٨٥.
(٦) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٣٢١/١٣.

عن ابن عباس: ﴿ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ قال: لرادك إلى مكة، كما أخرجك منها، عن مجاهد في قوله: ﴿ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾، قال: مولده بمكة، وقيل: إن الذي فرض عليك القرآن لمصيرك إلى أن تعود إلى مكة مفتوحة لك(١).

كأنه قال: إنا فتحنا لك فتحا مبينا لكي يجمع الله لك مع الفتح المغفرة، فيجمع الله لك به ما تقر به عينك في الدنيا والآخرة(٢).

وقوله ﴿ لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ ﴾(٣) هذا من خصائصه – صلوات الله وسلامه عليه – التي لا يشاركه فيها غيره. وليس صحيحا في ثواب الأعمال لغيره غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر. وهذا فيه تشريف عظيم لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – وهو – صلوات الله وسلامه عليه – في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها بشر سواه، لا من الأولين ولا من الآخرين، وهو أكمل البشر على الإطلاق، وسيدهم في الدنيا والآخرة. ولما كان أطوع خلق الله لله، وأكثرهم تعظيما لأوامره ونواهيه(٤).

وفي قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴾(٥) يعني: أما شرحنا لك صدرك، أي: نورناه وجعلناه فسيحا رحيبا واسعا كقوله: ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ﴾(٦)، وكما شرح الله صدره كذلك جعل شرعه فسيحا واسعا سمحا سهلا لا حرج فيه ولا إصر ولا ضيق(٧).

(١) جامع البيان في تأويل آي القرآن، الطبري، مرجع سابق، ٦٤١/١٩.
(٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، مرجع سابق، ٢٦٢/١٦.
(٣) سورة الفتح الآية ٢.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٣٠٤/٧.
(٥) سورة الشرح الآية ١.
(٦) سورة الأنعام الآية ١٢٥.
(٧) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٤١٥/٨.

وفي الحديث عن أبو هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع»[1].

(١) صحيح مسلم، محمد بن الحجاج القشيري النيسابوري، ١٧٨٢/٤.

المبحث الرابع

إنكار الحداثيين لبعض الأحكام الشرعية من خلال تفسيرهم

المطلب الأول

حد الردة

يرى الحداثيون أن المرتد لا يقتل وأن ما قام به المرتد من أعمال صالحة حين إسلامه، ستصبح باطلة بعد كفره، وأن مصيره يكون جهنم يوم القيامة، استدلالاً بقوله تعالى: ﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾[1].

فيقول عبدالعزيز الجاويش[2] أن الارتداد عن الإسلام يعني الارتداد عن نصرة الدين والاسلام والمسلمين ومنازلة الأعداء، أي التخلف عن الجهاد.

ويرى شلتوت[3] أن المبيح للقتل هو محاربته للمسلمين، وأنه لا شيء يثبت بحديث الآحاد، وأن الكفر ليس مبيح للدم.

---

(١) سورة البقرة الآية ٢١٧.

(٢) عبد العزيز خليل حسن جاويش (١٢ شوال ١٢٩٣هـ/ ٣١أكتوبر ١٨٧٦- ١٣شعبان ١٣٤٧هـ/٢٥ يناير ١٩٢٩م)، مجاهد مصري، أحد رواد الإصلاح والعمل الوطني وأحد مناصري الخلافة العثمانية، ولد في الإسكندرية، وتعلم بالأزهر، وتخرج في دار العلوم، واستكمل تعليمه في بريطانيا، وعمل أستاذا في جامعة أكسفورد. هاجر إلى تركيا، وبعد أن سقطت الدولة العثمانية عاد إلى القاهرة ليعمل في التعليم.

(٣)محمود شلتوت (١٣١٠هـ- ١٣٨٣هـ/ ١٨٩٣م- ١٩٦٣م)، عالم إسلامي مصري وشيخ الجامع الأزهر ١٨٩٣ - ١٩٦٣م، نال إجازة العالمية سنة ١٩١٨م، وعين مدرساً بالمعاهد ثمّ بالقسم العالي ثمّ مدرساً بأقسام التخصص، ثمّ وكيلاً لكلية الشريعة، ثمّ عضواً في جماعة كبار العلماء، ثمّ شيخاً للأزهر سنة ١٩٥٨م، وكان عضواً بمجمع اللغة العربية سنة ١٩٤٦م، وكان أول حامل للقب الإمام الأكبر. وولد الشيخ محمود شلتوت بمحافظة البحيرة سنة ١٨٩٣م.

ويقول الدكتور حسن الترابي[١] حتى إذا ارتد المسلم وخرج عن الإسلام فأنا أقول أنه أرتد أو لم يرتد، فله حريته أن يقول ما يشاء شريطة ألا يفسد ما هو مشترك بيننا من نظام، فإن خان النظام العام عند ذلك أرد عليه[٢].

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ قَالُواْ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُواْ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ وَهَمُّواْ بِمَا لَمْ يَنَالُواْ ۚ وَمَا نَقَمُوٓاْ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُواْ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْاْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴾[٣] قالوا أن العذاب الإليم المتوعد به في الدنيا هو القتل جزاء على ردته، وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَابُواْ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّواْ سَبِيلَهُمْ ﴾[٤]، دلت الآية على أن من لم يتب لم يخلى سبيله، وقوله تعالى: ﴿ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ﴾[٥] قال بعض أهل العلم هم القوم المرتدون من أهل اليمامة وغيرهم، قال ابن كثير هم هوازن، وقيل هم بنو حنيفة، وقيل هم أهل فارس.

وثبت في الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (من بدل دينه فاقتلوه)[٦]، وقال ابن عمر رضي الله عنه استتابة المرتد ثلاثة فإن تاب ترك، وإن أبى قتل[٧].

---

(١) حسن عبد الله الترابي هو مفكر وزعيم سياسي وديني سوداني. ويعتبر رائد مدرسة تجديد سياسي إسلامي. عمل الترابي أستاذاً في جامعة الخرطوم ثم عين عميداً لكلية الحقوق بها، ثم عين وزيراً للعدل في السودان. وفي عام ١٩٨٨ عين وزيراً للخارجية السودانية. كما أختير رئيساً للبرلمان في السودان عام ١٩٩٦م.

(٢) قضايا التجديد نحو منهج أصولي، حسن عبدالله الترابي،

(٣) سورة التوبة الآية ٥.

(٤) سورة التوبة الآية ٧٤.

(٥) سورة الفتح الآية ١٦.

(٦) صحيح البخاري، مرجع سابق، حديث رقم ٦٩٢٢، ١٥/٩.

(٧) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ، ٥٦٢/٥.

المطلب الثاني

القوامة

يرى الحداثيون أن قضايا المرأة وأحكامها التي قررتها الشريعة الإسلامية خاضعة للواقع، والعرف الاجتماعي، فلا علاقة للدين والشرع بها، يقول نصر حامد أبوزيد أن قضايا المرأة لا تناقش إطلاقاً إلا بوصفها قضايا اجتماعية لا علاقة للدين والشرع بها، وإدخالها في دائرة القضايا الدينية هو في الحقيقة تزييف لها وقد وهم الناس أن كل ما ذكره القرآن عن المرأة تشريع وما هو بتشريع(١).

وفي حديثهم عن القوامة يقول شحرور(٢) في كتابه فقه المرأة: إعطاءه القوامة للسيدة خديجة رضي الله عنها على النبي صلى الله عليه وسلم لأنها واسته بمالها وقد نسي الناس حين كانت القوامة للسيدة خديجة من حيث أفضليها المادية فكانت تنفق على البيت وكان هو متفرغ للدعوة(٣).

يقول الطبري: في قوله: ﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾(٤)، الرجال أهل قيام على نسائهم، في تأديبهن والأخذ على أيديهن فيما يجب عليهن لله ولأنفسهم ﴿ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ ﴾(٥)، يعني: بما فضل الله به الرجال على أزواجهم: من سوقهم إليهن مهورهن، وإنفاقهم عليهن أموالهم، وكفايتهم إياهن مؤنهن.

(١) دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، نصر أبوزيد، ص٨٦.
(٢) محمد شحرور (مواليد دمشق ١٩٣٨) أحد أساتذة الهندسة المدنية في جامعة دمشق ومؤلف ومنظر لما أطلق عليه القراءة المعاصرة للقرآن. بدأ شحرور كتاباته عن القرآن والإسلام بعد عودته من موسكو واتهمه البعض باعتناقه للفكر الماركسي (رغم نفي جميع مؤلفاته لذلك).
(٣) فقه المرأة، شحرور، ص٣١٥.
(٤) سورة النساء الآية ٣٤.
(٥) سورة النساء الآية ٣٤.

ويقول السعدي: ﴿ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ ﴾ أي: قوامون عليهن بإلزامهن بحقوق الله تعالى، من المحافظة على فرائضه وكفهن عن المفاسد، والرجال عليهم أن يلزموهن بذلك، وقوامون عليهن أيضا بالإنفاق عليهن، والكسوة والمسكن(١).

وأن ما ذكره الحداثيون هو محض افتراء في أن القوامة كانت للسيدة خديجة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأن هذا خلاف الفطرة وخلاف صريح المنقول.

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م، ١٧٧/١.

المطلب الثالث

حجاب المرأة المسلمة

وعن الحجاب يقول شحرور عن الحجاب ما نصه وغطاء الرأس بالنسبة للرجل أو المرأة ليس له علاقة بالإسلام والإيمان وهو يتبع أعراف الناس والمجتمع بشكل كامل(١).

ويقول نصر حامد أبوزيد أن آية الحجاب ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴾(٢) إن حبس المرأة في زي الحجاب تجسيد رمزي للتغطية على عقلها ووجودها الاجتماعي وهذا الالغاء لوجودها الاجتماعي هو عملية قتل(٣)، ويقول أيضاً أن الحجاب أعراف وتقاليد لا علاقة له بالإسلام ولا بالإيمان(٤).

وكذلك قوله تعالى: ﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ﴾(٥) أي: وليضعن خمرهن، جمع خمار، وهو ما يستر الرأس، على جيوبهن، وهو شق القميص من ناحية الصدر(٦).

يقول الطبري: ﴿ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ ﴾ يقول تعالى ذكره: وليلقين خمرهن، وهي جمع خمار، على جيوبهن، ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن.

---

(١) فقه المرأة، شحرور، ص٣٧٩.
(٢) سورة الأحزاب الآية ٥٩.
(٣) دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، نصر أبوزيد، ص١٢٥.
(٤) دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، نصر أبوزيد، ص٤٨.
(٥) سورة النور الآية ٣١.
(٦)البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ، ٣١/٤.

ويقول الرازي: في قوله تعالى: وليضربن بخمرهن على جيوبهن فالخمر واحدها خمار، وهي المقانع. قال المفسرون: إن نساء الجاهلية كن يشددن خمرهن من خلفهن، وإن جيوبهن كانت من قدام فكان ينكشف نحورهن وقلائدهن، فأمرن أن يضربن مقانعهن على الجيوب ليتغطى بذلك أعناقهن ونحورهن وما يحيط به من شعر وزينة من الحلي في الأذن والنحر وموضع العقدة منها، وفي لفظ الضرب مبالغة في الإلقاء، والباء للإلصاق، وعن عائشة رضي الله عنها «ما رأيت خيرا من نساء الأنصار، لما نزلت هذه الآية قامت كل واحدة منهن إلى مرطها فصدعت منه صدعة فاختمرت فأصبحن على رؤوسهن الغربان»[1].

ويقول سيد قطب ﴿ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ إلى آخر ما قال في شأن منهج الحياة البشرية فالحق هو ما قال- سبحانه- وليس للعقل أن يقول: ولكنني أرى المصلحة في كذا وكذا مما يخالف عن أمر الله، أو فيما لم يأذن به الله ولم يشرعه للناس.. فما يراه العقل مصلحة يحتمل الخطأ والصواب، وتدفع إليه الشهوات والنزوات.. وما يقرره الله- سبحانه- لا يحتمل إلا الصحة والصلاح.

يقول أحمد إسماعيل المقدم[2] في كتابه عودة الحجاب: إن أيديهم الماكرة الخبيثة الخادعة قد امتدت إليك في هذه الفتنة لتنزلك من علياء كرامتك وتهبط بك من سماء مجدك وتخرجك من دار سعادتك فاقطعيها بسرعة وبقوة فإنها يد مجرمة

(١)التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ، ٣٦٤/٢٣

(٢) هو الدكتور محمد أحمد إسماعيل المقدم ولد بالإسكندرية عام ١٣٧١هـ (١٩٥٢م) وهو طبيب بشري متخصص في الصحة النفسية وحاصل على ليسانس الشريعة الإسلامية من جامعة الأزهر، وحصل على ليسانس الشريعة الإسلامية - كلية الشريعة - جامعة الأزهر.

ظالمة. والآن يا أختي المسلمة: هل أدركت مدى فطنة فقهائنا لما حرموا السفور سداً للذريعة؟ وهل لك أن تسمعي هذه النصيحة من شيخ ناصح أمين: (إن بداية السفور والتبرج الجاهلي الذي عليه جل نساء المؤمنين اليوم في ديار المسلمين إنما بدأ من كشف الوجه بإزالة البرقع والنقاب عنه حتى بات وأصبح وأضحى وظل وأمسى من المعلوم بالضرورة: أن من كشفت من الفتيات عن وجهها اليوم ستكشف غداً حتماً عن رأسها وصدرها وساقيها وحتى فخذيها ولا يجادل في هذا أو لا يسلمه إلا مغرور مخدوع أو مضلل مغرر مخادع يعمل لحساب الماسونية العالمية التي جعلت من أهدافها القضاء على الإسلام عقيدة وبيتاً ومجتمعاً ودولة.. وبناء على هذا فإن اليد التي تحاول أن تحسر الحجاب عن وجه فتياتنا اليوم ينبغي الضرب عليها وإن اللسان الذي يدعو فتاتنا إلى نزع الحجاب بإسقاط ملاءتها ينبغي أن يقطع)[1].

(١)عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، توزيع دار الصفوة، الطبعة العاشرة، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م، ١/١٦٥-١٦٦

المطلب الرابع

تفسير قوله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾[1]

قال الجابري التطهر مما قد يكون لصق به من تراب أو غبار عندما كان يتنقل بين الجبال والذي ذهب إليه المفسرين إلى أن الطهارة من المعاصي فيه تدليس وقصور علمي واضح[2].

تفسير السعدي: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته[3] وقال مجاهد ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ عملك فأصلح[4].

(١) سورة المدثر الآية ٤.
(٢) فهم القرآن الحكيم، محمد عابد الجابري، ٣٣٨/١-٣٣٩.
(٣) تيسير الكريم المنان، السعدي، مرجع سابق، ٨٩٥/١.
(٤) تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، مرجع سابق، ٢٧٢/٨.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، بهذه الصفحات أكون قد وصلت إلى خاتمة هذه الورقة العلمية والتي تناولت فيها تفسير النص القرآني بين المفسرين والحداثيين، وما قاموا به من عبث وتشويش على القرآن فينحون بالقرآن الكريم مناحي غريبة عنه، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً باساءتهم لفهم مقاصد القرآن الكريم، ولكنه في حقيقة أمرهم وقعوا في أخطاء منهجية نتيجة لاضطرابهم في فهم كتاب الله تعالى، وقد قمت ببيان الاشكاليات المنهجية في بعض الأمور القطعية العقدية وغيرها، وقد توصلت لعدة نتائج أهمها:

١- أن القرآن الكريم كلام الله تعالى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد تكفل الله بحفظه، وأن أي محاولة للنيل منه ستبوء بالفشل.

٢- أن الله تعالى قد سخر لهذا القرآن رجالاً يزودون عنه ويكشفون زيف أعدائه.

٣- أن التيار الحداثي هو امتداد للتيار التجديدي الذي ملأ الساحة ضجيجاً في سبعينيات وثمانينات القرن الماضي.

٤- يعتمد الحداثيون على رفع الحصانة عن القرآن وذلك بالتشكيك في التفسير والمفسرون.

وأوصت الورقة بعدة توصيات أهمها:

١- بذل الجهود من الباحثين والعلماء لمواجهة هذه الحملات المضللة التي يتعرض لها كتاب الله تعالى؛ لأن جهود من الحداثيين متجددة وتلقى رواجاً ودعماً وأذناً صاغية.

٢- القيام بالدور الفاعل للمؤسسات التعليمية والبحثية والمراكز المتخصصة من خلال الوعي بخطورة أفكار الحداثيين ومدارسهم، وقيام الجامعات بإعداد مادة متخصصة تُعنى بذلك.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

(١) الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٣٩٤هـ- ١٩٧٤م .

(٢) إرشاد الفحول، محمد بن على الشوكاني، تحقيق: أحمد عزو عناية، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ- ١٩٩٩م.

(٣) البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي (المتوفى: ٧٤٥هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر – بيروت، ١٤٢٠ هـ.

(٤) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أبو العباس أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسني الأنجري الفاسي الصوفي (المتوفى: ١٢٢٤هـ)، المحقق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ.

(٥) البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي، دار إحياء الكتب العربية ط/ الأولى ١٣٧٦هـ .

(٦) التعريفات، علي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.

(٧) تفسير الجلالين، جلال الدين محمد بن أحمد المحلي (المتوفى: ٨٦٤هـ) وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطبعة الأولى.

(٨) تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ.

(٩) التفسير الكبير، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٠هـ.

(١٠) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

(١١) جامع البيان في تأويل القرآن، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، المحقق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ- ٢٠٠٠م .

(١٢) الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، تحقيق عبد الله عبد المحسن التركي ،ط مؤسسة الرسالة ، سنة ١٤٢٧هـ ، ٢٠٠٦م .

(١٣) الحداثة في الأدب المعاصر، هل انفض سامرها، د . محمد مصطفى هدارة، مجلة الحرس الوطني ربيع الآخر ١٤١٠هـ.

(١٤) ديوان كعب بن زهير، ط دار صادر بيروت سنة ٢٠١٠م .

(١٥) دوائر الخوف، قراءة في خطاب المرأة، نصر أبوزيد، ط المركز الثقافي العربي ، سنة ٢٠٠٤م .

(١٦) سنن ابن ماجه، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي .

(١٧) صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل أبوعبدالله البخاري الجعفي، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ.

(١٨) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت .

(١٩) عودة الحجاب، محمد أحمد إسماعيل المقدم، دار طيبة، توزيع دار الصفوة، الطبعة العاشرة، ١٤٢٨هـ – ٢٠٠٧م.

(٢٠) العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ)، المحقق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

(٢١) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

(٢٢) فتح القدير، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ.

(٢٣) فهم القرآن الحكيم، التفسير الواضح حسب أسباب النزول، ، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الثانية، ٢٠٠٩م، القسم الأول.

(٢٤) القصيدة النونية للقحطاني، أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي (المتوفى: ٣٧٨هـ)، المحقق: عبد العزيز بن محمد بن منصور الجربوع، دار الذكرى، الطبعة الأولى.

(٢٥) قضايا التجديد نحو منهج أصولي، حسن عبدالله الترابي.

(٢٦) مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٢١هـ– ٢٠٠٠م .

(٢٧) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاربي (المتوفى: ٥٤٢هـ)، المحقق: عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة الأولى.

(٢٨) مسند الإمام أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ- ٢٠٠١م.

(٢٩) مشكاة المصابيح، محمد بن عبد الله الخطيب العمري، أبو عبد الله، ولي الدين، التبريزي (المتوفى: ٧٤١هـ)، المحقق: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٥م.

(٣٠) المصنف في الأحاديث والآثار، أبو بكر بن أبي شيبة، عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان بن خواستي العبسي (المتوفى: ٢٣٥هـ)، المحقق: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٩هـ.

(٣١) معالم التنزيل في تفسير القرآن، محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي (المتوفى: ٥١٠هـ)، المحقق: حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر – عثمان جمعة ضميرية – سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م.

(٣٢) معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.

(٣٣) مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزُّرْقاني (المتوفى: ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطبعة الثالثة، ١/١٥.

(٣٤) المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ.

(٣٣) الموطأ، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان للأعمال الخيرية والإنسانية، أبو ظبي، الإمارات، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.

(٣٥) الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، الندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف وتخطيط ومراجعة: د. مانع بن حماد الجهني، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، ١٤٢٠هـ.

(٣٦) اللآليء الحسان في علوم القرآن، د. موسى شاهين لاشين، مطبعة الفجر الجديد، (بدون).

(٣٧) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٨/١.

(٣٨) نفحات من علوم القرآن، محمد أحمد معبد، مكتبة طيبة، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٩٨٦م